وَرَوَيْنَا عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: لَيْسَ لِأَهْلِ الشَّامِ حَدِيثٌ أَشْرَفُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ[1].

١٢ ــ باب: في الحث على الازدياد من الخير في أواخر العمر

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[2]: ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْمُحَقِّقُونَ: مَعْنَاهُ: أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ سِتِّينَ سَنَةً، وَيُؤَيِّدُهُ الْحَدِيثُ الَّذِي

مخرجيه واختلافهم في رواياتهم بما فيه بسط وطول **(وروينا عن الإمام أحمد بن حنبل قال: ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث)** قال السخاوي في تخريج الأربعين الحديث التي جمعها المصنف: وكذا قال أبو مسهر نفسه فيما حديث أبو الحسن علي بن إسحاق البحري المادراني عن أبي بكر محمد بن إسحاق الصغاني شيخ مسلم فيه عنه.

باب الحث

بالمثلثة أي: الحض **(على الازدياد)** افتعال من الزيادة. وأبدلت المثناة الفوقية دالاً لوقوعها بعد الزاي **(من الخير)** أي: الطاعات والبر الموصلة إلى مرضاة الله عز وجل **(في أواخر العمر)** لأنه أوان الختام، وبحسنه تحصل ثمرات الطاعات وبركات الحسنات **(قال الله تعالى: أولم نعمركم)** هو استفهام توبيخ وتقرير **(ما يتذكر فيه من تذكر)** ما موصولة. أي: المدة التي يتذكر فيها المتذكر. ويجوز أن تكون نكرة موصوفة. أي: تعميراً أو زمناً يتذكر فيه من تذكر **(وجاءكم النذير)** قال البيضاوي: عطف على معنى ﴿أولم نعمركم﴾[3] فإنه للتقرير. كأنه قيل: عمرناكم وجاءكم النذير. **(قال ابن عباس والمحققون:)** من المفسرين **(معناه أولم نعمركم ستين سنة ويؤيده الحديث الذي سنذكره)** أول أحاديث الباب **(إن شاء الله تعالى)** وعند ابن أبي حاتم عن عطاء مرفوعاً إذا كان يوم القيامة قيل: أين أبناء الستين وهو العمر الذي قال الله تعالى فيه: ﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾[4] وكذا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم. (الحديث: ٥٥).

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٧.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٣٧.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٣٧.

سَنَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَقِيلَ مَعْنَاهُ: ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً. وَقِيلَ: أَرْبَعِينَ سَنَةً. قَالَهُ الحَسَنُ وَالْكَلْبِيُّ وَمَسْرُوقٌ، وَنُقِلَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضاً، وَنَقَلوا أَنَّ أَهْلَ المَدِينَةِ كَانُوا إِذَا بَلَغَ أَحَدُهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً تَفَرَّغَ لِلْعِبادَةِ. وَقِيلَ: هُوَ البُلوغُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْجُمْهُورُ: هُوَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقِيلَ: الشَّيْبُ.

رواه ابن جرير والطبراني من طرق بعضها ضعيف. كذا في أخبار الأعمال لابن فهد **(وقيل: معناه:)** أولم نعمركم **(ثماني عشرة سنة)** قال ابن الجوزي في زاد المسير. قال له عطاء ووهب بن منبه وأبو العالية وقتادة ا هـ. قال قتادة: طول العمر حجة فنعوذ بالله أن نغتر بطول العمر. قد نزلت هذه الآية وإن فيم لابن ثماني عشرة سنة. **(وقيل: أربعين سنة قاله الحسن)** أي: البصري ومحمد بن السائب **(والكلبي ومسروق)** بن سعيد. سمي بذلك لأنه سرق في صغره **(ونقل)** ذلك **(عن ابن عباس أيضاً)** أخرجه ابن جرير عن مجاهد عنه قال: العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم أربعون سنة. واختاره ابن جرير ونقله غيره. وكأنه أخذه من قوله تعالى: ﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة﴾[1] **(ونقلوا أن أهل المدينة كانوا إذا بلغ أحدهم أربعين سنة)** تخلى عن العلائق والعوائق و**(تفرغ للعبادة)** وإلى هذا المعنى رمز بعضهم بقوله:

إذ العشرون[2] من شعبان ولت ... فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار ... فقد ضاق الزمان عن الصغار

قال القرطبي في التفسير: قال ابن مالك: أدركت أهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا والعلم ويخالطون الناس، حتى إذا بلغوا أربعين سنة تركوا المخالطة، واشتغلوا بالعبادة حتى يأتيهم الموت **(وقيل: هو البلوغ)** أي: سنه وهذا القول نقله البغوي والخازن في التفسير، ولم يعينا قائله وسنه عند إمامنا الشافعي خمس عشرة سنة، وعند الإمام أبي حنيفة ثماني عشرة سنة. أما الاحتلام وإمكانه فهو بعد استكمال التسع، ويمكن حمل كلام المصنف عليه لو قيل به **(وقوله تعالى: وجاءكم النذير قال ابن عباس والجمهور)** أي: جمهور العلماء ومنهم: زيد بن علي وابن زيد حكاه عنهما القرطبي ومنهم السري. وهو الصحيح عن قتادة فيما رواه شيبان عنه أنه قال: احتج عليهم بالعمر والرسل، وهو اختيار ابن جرير. وهو

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

(٢) قوله إذا العشرون إلخ الإشارة فيه أن العشرين ثلثا الشهر والأربعين ثلث العمر. ش

قَالَهُ عِكْرِمَةُ وابْنُ عُيَيْنَةَ وَغَيْرُهُما، واللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا الأَحادِيثُ:

١١٢ ــ فَالأَوَّلُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِىءٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً» رَوَاهُ البُخَارِيُّ. قَالَ العُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ: لَمْ يَتْرُكْ لَهُ عُذْراً إِذْ أَمْهَلَهُ هَذِهِ الْمُدَّةَ. يُقَالُ: أَعْذَرَ الرَّجُلُ إِذَا بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْعُذْرِ[1].

الأظهر فقال هؤلاء: النذير (**هو النبي ﷺ**) قال القرطبي لأن الله تعالى بعثه بشيراً ونذيراً إلى عباده قطعاً لحجتهم. قال: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾[2] (**وقيل:**) هو (**الشيب قاله**) ابن عباس وعكرمة (**و**) سفيان (**بن عيينة وغيرهما**) كوكيع والحسين بن الفضل والفراء والطبري. ذكره القرطبي قلت: واقتصر عليه البخاري. في كتاب الرقاق من صحيحه قال: والشيب نذير، لأنه يأتي في سن الاكتهال، وهو علامة لمفارقة سن الصبا الذي هو سن اللهو واللعب قال:

رأيت الشيب من نذر المنايا ... لصاحبه وحسبك من نذير

(**والله أعلم**) (**وأما الأحاديث**) النبوية.

١١٢ ــ (**ف**) الحديث (**الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أعذر الله إلى أمرىء**) أي شخص (**أخر**) بتشديد المعجمة (**أجله حتى بلغ ستين سنة رواه البخاري قال العلماء: معناه**) أزال عذره (**ف**) لم يترك له عذراً يعتذر به في ترك صالح الأعمال (**إذ أمهله هذه المدة**) فالهمزة للسلب (**يقال**) في كلام العرب (**أعذر الرجل**) بالرفع (**إذا بلغ الغاية في العذر**) قال الحافظ العسقلاني: الأعذار إزالة العذر. والمعنى إنه لم يبق له اعتذاراً. كأن يقول: لو مد لي في الأجل لفعلت ما أمرت به، وإذا لم يكن له عذر في ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذي حصل له، فلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية. ونسبة الأعذار إلى الله تعالى مجازية والمعنى: أن الله لم يترك للعبد سبباً للاعتذار يتمسك به. والحاصل: أنه تعالى لا يعاقب إلا بعد حجة. وقال التوربشتي: ومنه قولهم: أعذر من أنذر. أي: أتى بالعذر وأظهره، وهذا مجاز من القول. فإن العذر لا يتوجه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر (١١/٢٠٤).
(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

١١٣ ــ الثَّاني عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ: لِمَ يَدْخُلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ عَلِمْتُمْ. فَدَعَانِي ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَنِي مَعَهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى[1]: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ؟﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا نَحْمَدُ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرُهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ

على الله، وإنما يتوجه له على عبيده. وحقيقة المعنى فيه أن الله تعالى لم يترك للعبد شيئاً في الاعتذار يتمسك به ا هـ.

١١٣ ــ **(وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدر)** أحد جموع شيخ. وقد ذكرتها في أول هذا الشرح. والمراد منه: ذوو الأسنان من الصحابة البدريين، وهم من أفاضل الصحابة وأكارمهم. أي يدخله معهم في المشورة والمهمات. وإدخاله معهم مع كبر سنهم لكبر قدره بما عنده من العلوم والمعارف. وقد كان يسمى البحر لسعة علمه **(فكأن)** بتشديد النون **(بعضهم)** قال ابن النحوي: هو عبد الرحمن بن عوف كما صرح به في البخاري في موضع آخر[2] **(وجد)** غضب **(في نفسه)** من ذلك **(فقال:)** له **(لم)** بتحريك الميم وهي ما الاستفهامية حذفت ألفها لأنها جرت وحقها أن ترسم بهاء السكت بعد الميم، لأنها يوقف عليها كذلك **(تدخل)** بضم الفوقية وكسر الخاء المعجمة. وفي نسخة يدخل بفتح التحتية وضم المعجمة **(هذا معنا ولنا أبناء مثله)** في السن ويحتمل أن يكون في لقي النبي ﷺ أيضاً بالنسبة لبعضهم **(فقال عمر؛ إنه من حيث علمتم)** أي: من بيت النبوة ومنبع العلوم ومصدر الآراء السديدة، ثم أراد زيادة بيان لشرفه بكثرة علمه المقتضي لتقدمه **(فدعاني ذات يوم فأدخلني معهم فما رأيت)** علمت بقرائن الأحوال. وفي أصل معتمد من صحيح البخاري، فما أريته بصيغة المجهول واتصل الضمير به أي: ظننته **(أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم)** بضم التحتية الأولى أي: يعلمهم **(مني)** ما استحق به الإدخال مع الشيوخ البدريين زاد في رواية ابن سعد فقال: أما إني سأريكم اليوم منه ما تعرفون به فضله. **(فقال: ما تقولون في قوله تعالى: إذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله)** بفتح النون والميم **(ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا)** جعل هذا القائل

---

(١) سورة النصر، الآية: ١.

(٢) في باب علامات النبوة. ش

عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً، فَقَالَ لي: أَكَذَلِكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ لَا قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ؛ قَالَ[1]: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَذَلِكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ

الخطاب بالسورة شاملاً لجميع الأمة[2] **(وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً فقال لي:)** عمر **(أكذلك)** أي: كما يقول هؤلاء مما ذكر **(تقول يا بن عباس فقلت لا)** أي: لا أقول ذلك **(قال: فما تقول قلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له)** أي: للنبي ﷺ أي: أن المراد من السورة تنبيهه على ما يعرف به قرب أجله، وعلى ما يأتي به حينئذ **(قال تعالى إذا جاء نصر الله)** نبيه ﷺ على أعدائه **(والفتح)** فتح مكة. وقيل: المراد جنس نصر الله المؤمنين، وفتح مكة وسائر البلاد عليهم **(ورأيت)** أي: أبصرت **(الناس يدخلون في دين الله)** أي: الإسلام **(أفواجاً)** جماعات بعدما كان يدخل فيه واحد بعد واحد، وذلك بعد فتح مكة **(وذلك)** أي: النصر وما بعده **(علامة)** قرب انتهاء **(أجلك)** قال البيضاوي في التفسير لعل: ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال أمر الدين، فهي كقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[3] أو لأن الأمر بالاستغفار ينبه على دنو الأجل. أي:[4] لأنه يكون في خواتم الأمور. ولذا كان ﷺ يستغفر بعد صلاته، وإذا خرج من الخلاء وإذا أفاض، ولذا سميت سورة التوديع. والأكثر على أن هذه السورة نزلت قبل فتح مكة، وأنه نعيٌ لرسول الله ﷺ اهـ. قال أبو حيان في النهر: قيل: نزلت في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع، فعاش بعدها ثمانين يوماً وفي شرح البخاري لابن النحوي بعد نقله عن ابن التين: أنها لعلها نزلت جميعاً أي: كاملة منصرفه من حنين. قاله الواحدي قال: وعاش بعد نزولها سنتين. قال: وهو غريب، كأنه تصحيف والذي رواه غيره ستين يوماً قال في فتح الباري: وسئلت عن قول الكشاف: إن سورة النصر نزلت في حجة الوداع أيام التشريق. فكيف صدرت بإذا الدالة على الاستقبال، فأجبت: بتضعيف ما نقله. وعلى تقدير صحته فالشرط لم يكمل بالفتح؛ لأن مجيء الناس أفواجاً لم يكن كمل، فبقية الشرط مستقبل. قال: وقد أجاب الطيبي عن هذا السؤال بجوابين: أن إذا بمعنى إذ، وبأن كلام الله تعالى قديم. قال الحافظ: وفي كلٍ

---

(١) سورة النصر، الآية: ٣.

(٢) أي أن كلًا منهم مخاطب بقوله (فسبح إلخ) على طريق البدل. ش

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٤) قوله أي لأنه ــ إلى قوله أفاض. من زيادة الشارح على كلام البيضاوي للإيضاح. ش

تَوَّاباً﴾[١]، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْها إِلاَّ مَا تَقُولُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[٢].

١١٤ ــ الثَّالِثُ: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ والْفَتْحُ﴾[٣] إِلاَّ يَقُولُ فِيها «سُبْحَانَكَ رَبَّنا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» .....

من الجوابين نظر هـ. قال الأتجي: وقيل إن فتح مكة أم الفتوح، والدستور لما يكون بعده من الفتوحات، فهو وإن كان متحققاً في نفسه لكنه مترقب باعتبار ما يدل عليه **(فسبح بحمد ربك)** أي: متلبساً **(واستغفره إنه كان تواباً)** على العباد، وكان ﷺ بعد نزول هذه السورة يكثر من قوله: **(سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي)** وفي رواية: **(استغفرك وأتوب إليك)** يأتي في الحديث عقبه **(فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول رواه البخاري)** والترمذي. أي فأشار إلى أن سبب تقديمه له على إخوانه وأقرانه هو سعة علمه وكمال فهمه، وأن التقدم بالمعنى المقتضي له وإن صغر السن وما أحسن ما قيل:

فكم من صغير لاحظته عناية من الله فاحتاجت إليه الأكابر

١١٤ ــ (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما صلى رسول الله ﷺ صلاة بعد أن نزلت) بالبناء للفاعل. وفي نسخة: أنزلت: بزيادة الهمزة أوله مبنياً للمفعول **(عليه سورة إذا جاء نصر الله والفتح)** وتسمى: سورة النصر **(ألا يقول فيها:)** أي: في ركوعها وسجودها، كما يأتي في الحديث بعده **(سبحانك)** أي: تنزيهاً لك عما لا يليق بك من كل نقص. وسبحان منصوب على أنه واقع موقع المصدر بفعل محذوف تقديره سبحت سبحانك. ولا يتعمل إلاَّ مضافاً، وهو مضاف إلى المفعول أي سبحتك. ويجوز أن يكون مضافاً للفاعل. أي: نزهت نفسك كما تقدم **(اللهم)** يالله **(وبحمدك)** الواو للحال ومتعلق الظرف محذوف أي: متلبساً بحمدك من أجل توفيقك لي. وقيل: عاطفة لجملة على جملة. أي أنزهك وأتلبس بحمدك. وقيل: زائدة أي: أسبحك مع ملابسة حمدك. وقدم التسبيح على التحميد لأنه تنزيه عن النقائص والحمد ثناء بصفات الكمال والتخلية مقدمة على التحلية **(اللهم اغفر لي)** أي: ما هو نقص بالنظر إلي على مقامي وإن لم يكن ذنباً في نفس الأمر، إذ الأنبياء

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير/باب في تفسير سورة: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ والأنبياء، باب علامات النبوة في الإسلام (٨/٥٦٥).

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ عنها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أن يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ربنا وبحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي» يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ. مَعْنى «يَتَأَوَّلُ الْقُرْآن»: أَيْ يَعْمَلُ مَا أُمِرَ بِهِ فِي الْقُرْآنِ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ «سُبْحانَكَ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ

معصومون من الذنب مطلقا كما تقدم، وتقدم وجه آخر في بيان المطلوب غفرانه (**متفق عليه. وفي رواية في الصحيحين عنها:**) أيضاً (**كان رسول الله ﷺ**) الأصح كما نقله المصنف في شرح مسلم عن المحققين والأكثرين من الأصوليين أن «كان» في مثل هذا المقام لا تفيد التكرار. وقال ابن الحاجب: تفيده وكذا ابن دقيق العيد لكن قال عرفاً وهو واضح (**يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا**) أي يا ربنا أو بدل من قوله: اللهم لا وصف له لأن الميم تمنع منه عند سيبويه (**وبحمدك اللهم اغفر لي**) وتقدم وجه عدم أخذ الفقهاء بقضية هذا الحديث حيث قالوا: إنه يقول في الركوع سبحان ربي العظيم وفي السجود سبحان ربي الأعلى، دون ما ذكر في هذا الحديث من أن ما ذكروه هو ما واظب عليه ﷺ طول عمره. وغيره مما ضمه إليه تارة واقتصر عليه أخرى كان في بعض الأوقات (**يتأول**) بفتح التحتية والفوقية والهمزة وتشديد الواو (**القرآن معنى قولها يتأول القرآن أي**) أي: هذه تفسيرية وما بعدها عطف بيان لما قبلها أو بدل منه، فلا يظهر موقعها فإن قوله (**يعمل ما أمر به في القرآن في قوله فسبح بحمد ربك واستغفره**) خبر عن معنى لا بدل من قولها يتأول القرآن، إلا أن يخص كون ما بعدها عطف بيان أو بدلاً، بما إذا كان مفرداً. كما أشرت إليه في شرح نظمي قواعد الإعراب وقوله «في قوله إلخ» بدل بعض من كل. وقال الحافظ العسقلاني: معنى يتأول القرآن يخص عمومه ببعض الأحوال (**وفي رواية لمسلم عنها: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت**) أي: بعد نزول هذه السورة (**سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك وأتوب إليك**) هذا من مزيد خضوعه ﷺ لربه وانطراحه بين يديه، ورؤية التقصير في أداء مقام العبودية وحق الربوبية، مما هو ذنب بالنظر إلى عليِّ مقامه ورفعة مرتبته. وهذا الحديث والذي بعده فيه إبقاء الأمر في الآية على التعميم، وعدم التأول بالتخصيص السابق، وهو لا يخالفه للإكثار منه في الصلاة وخارجها. وفي جمعه بين الاستغفار والتوبة احتياط، لأن الاستغفار محتمل لكل من المعنيين، ويقرب حمله على

إِلَيْكَ» قَالَتْ عَائِشَةُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَرَاكَ أَحْدَثْتَهَا تَقُولُهَا؟ قَالَ: «جُعِلَتْ لِي عَلَامَةٌ فِي أُمَّتِي إِذَا رَأَيْتُهَا قُلْتُهَا [١] ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ». قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟» فَقَالَ: «أَخْبَرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ. فَقَدْ رَأَيْتُهَا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فَتْحُ مَكَّةَ ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ. . . . . .

التوبة قوله: ﴿إنه كان تواباً﴾[٢] وفيه دليل لمن قال بجواز حمل اللفظ على معنييه دفعة واحدة **(قالت: قلت: يا رسول الله ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها)** في محل الحال من مفعول أحدثتها. **(قال: جعلت)** بالبناء للمفعول **(لي علامة في أمتي إذا رأيتها)** أبصرتها أو عرفتها **(قلتها)** والعلامة المذكورة هي **(إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخر السورة)** ويحتمل أن قوله: ﴿إذا جاء نصر الله﴾[٣] إلخ. في محل رفع تابع لعلامة على أنه عطف بيان أو بدل، ويجري هذان الوجهان في نظيره الآتي **(وفي رواية له)** أي: لمسلم **(عنها)** ورواه أبو نعيم في مستخرجه إلا أنه قال: سبحان ربي وليس فيه وأتوب إليه **(كان رسول الله ﷺ يكثر من قوله سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه قالت: قلت: يا رسول الله أراك)** أي: أبصرك حال كونك **(تكثر من قولك سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه فقال: أخبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي فإذا رأيتها أكثرت)** بضم التاء فيهما **(من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه)** أي: وإكثار ذلك عند رؤيا العلامة، إما باعتبار عظم النعمة المرتب عليها ذلك المقتضى للتكثير، زيادة في العظم، أو باعتبار صيغة التفعيل في سبح، وهي للكثرة. واستحب ذلك فيما عطف عليه لاقترانه به ولقوله: ﴿إنه كان تواباً﴾[٤] المعلل به طلب الاستغفار **(فقد رأيتها)** ثم بين العلامة بقوله **(إذا جاء نصر الله والفتح ــ فتح مكة ــ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره**

---

(١) سورة النصر، الآية: ١.
(٢) سورة النصر، الآية: ٣.
(٣) سورة النصر، الآية: ١.
(٤) سورة النصر، الآية: ٣.

إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾[(١)].

١١٥ ـ الرابِعُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إِنَّ اللَّهَ عزَّ وَجَلَّ تابَعَ الوَحْيَ عَلَى رسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ وَفاتِهِ حَتَّى تُوُفِّيَ أَكْثَرَ مَا كَانَ الوَحْيُ. مُتَّفقٌ عَلَيْهِ[(٢)].

١١٦ ـ الْخَامِسُ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يُبْعَثُ كلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(٣)].

إنه كان تواباً).

١١٥ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: إن الله عز)** غلب فلا يغالب على مراده **(وجل)** عما لا يليق بشأنه **(تابع الوحي على رسول الله ﷺ)** فيه الإظهار في مقام الإضمار إشارة إلى كمال التشريف له ﷺ، وتبركاً بذكر اسمه تعالى وتلذذا به **(قبيل)** بالتصغير **(وفاته)** وذلك لتكمل الشريعة ولا يبقى مما يوحى إليه به شيء **(حتى)** غاية للمبالغة **(توفي)** بالبناء للمجهول **(أكثر ما كان الوحي)** أي: وقت أكثريته، ولما تكامل ما أريد إنزاله للعالم مما به انتظام معاشهم ومعادهم قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[(٤)] فتوفي بعده ﷺ بأشهر **(متفق عليه)**.

١١٦ ـ **(وعن جابر)** بن عبد الله **(رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يبعث)** بالبناء للمفعول **(كل عبد)** والمراد منه: المكلف ولو حراً وامرأة كما تقدم **(على ما مات عليه)** حتى يبعث صاحب المزمار ومزماره في يده. ففيه تحريض للإنسان على حسن العمل وملازمة السنن المحمدي في سائر الأحوال، والإخلاص لله تعالى في الأقوال والأعمال ليموت على تلك الحالة الحميدة، فيبعث كذلك. وفي ختم المصنف هذا الباب بهذا الحديث كمال الحسن، فإنه محرض على تحسين العمل والازدياد من الطاعات في سائر الأوقات لاحتمالها

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير/باب تفسير سورة: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ (٥٦٤/٨) وفي صفة الصلاة باب الدعاء في الركوع باب التسبيح والدعاء في السجود وفي المغازي باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح.

وأخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود. (الحديث: ٢١٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزول الوحي، وأول ما نزل (٦/٩، ٧).

وأخرجه مسلم في كتاب: التفسير، باب: (٥٤) (الحديث: ٢).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت. (الحديث: ٨٣).

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.